## إثبات الرزق والقوة لله تعالى

**قال المؤلف-رحمه الله تعالى-:**

**(وقوله: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٨]).**

**(الشرح)**

**قوله: {الرَّزَّاقُ}:** الرزاق: اسم من أسماء الله الحسنى، أي كثير الرَزق؛ لأنها صيغة مبالغة، ورِزق الله نوعان: رِزق حسن، ورزق غير حسن؛ لقوله تعالى: {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} [النحل: ٦٧]؛ فدل على أن الرّزق منه ما يكون حسنًا، وهو ما كان طيبًا مباحًا، ومنه ما يكون سوى ذلك، وقد تكفل الله؛ بمقتضى ربوبيته، لكل دابة برزقها؛ قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا} [هود: ٦]، ومن الناس من يسترزق بغير ما أحل الله.

والثمرة المسلكية، التي تنعكس على المؤمن بأن الله هو الرزاق، أن يطلب الرزق منه؛ كما قال: {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ} [العنكبوت: ١٧]، وتجد بعض الناس يقول: فلان قطع رزقي! لا يقطع رزقك فلان، ولا علان؛ الرزاق حقًا هو الله، عز وجل؛ فلا تظن أن أحدًا يحول بينك وبين رزقك؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم:

(إِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حُرِّمَ)[١].

اعلم أن رزقك مقسوم، وعليك أن تطلبه، وليس معنى ذلك أن يتواكل الإنسان؛ فلا يطلب رزقه، ولهذا عقب النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: (وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ)، ولم يقل: دعوا الطلب، سيأتيكم رزقكم في بيوتكم؛ يعني اطلب رزقك بسخاوة نفس، ولا تذهب نفسك حسرات، وتشعر بالشغف والتلهف؛ فهذا من آثار الإيمان بهذا الاسم الشريف.

**قوله: {ذُو الْقُوَّةِ}:** أي صاحب القوة، أي من له القوة المطلقة، والفرق بين القوة، والقدرة: أن القدرة: التمكن من الفعل من غير عجز، والقوة التمكن من الفعل من غير ضعف؛ فالله تعالى قوي قادر، منزه عن الضعف، وعن العجز.

والآية دليل على إثبات الصفات لله تعالى؛ خلافًا للمعتزلة، الذين أثبتوا أسماء مجردةً عن الصفات، بمنزلة الأعلام المحضة، بناءً على أصلهم الفاسد بنفي الصفات الثبوتية عن الله؛ كما في قوله هنا: {ذُو الْقُوَّةِ} [الذاريات: ٥٨]، وقوله: {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ} [الأنعام: ١٣٣]، وقوله: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الصافات: ١٨٠]، وقوله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧]. فدلت الآيات على إثبات صفات: القوة، والرحمة، والعزة، والجلال والإكرام؛ فأين يذهب النفاة؟! والعرب لا تسمي كاتبًا إلا من

---

[١] أخرجه ابن ماجه: رقم (٢١٤٤)، والحاكم في المستدرك: رقم (٢١٣٥)، واللفظ له، وقال: على شرط مسلم، وابن حبان في صحيحه: رقم (٣٢٣٩)، صححه الألباني.

قامت به صفة الكتابة، ولا راكبًا إلا من اتصف بالركوب، ولا راميًا إلا من زاول الرمي، وهكذا؛ فكل اسم من أسماء الله الحسنى فلا بد أن يتضمن صفة.

ويقين القلب بأن الله هو القوي يقوي ثقة المؤمن بربه، ويمنحه الطمأنينة والركون إليه؛ فإذا قيل: إن أعداء الإسلام أقوياء؛ يملكون أسلحة دمار شامل، وقنابل ذرية وهيدروجينية وكيميائية، إلخ؛ علم أن الله هو القوي القادر، فيمتلأ قلبه ثقة بالله، وتوكلًا عليه، وحسن ظن به، فتحصل له الطمأنينة الحقيقية، لا الوهمية؛ فيلجأ إلى ربه، ويلوذ بجنابه، فينال من الثبات ما لا يقع لسائر الناس؛ قال تعالى، عن هود وقومه: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود: ٥٤ - ٥٦].

**قوله: {الْمَتِينُ}**: أي الشديد القوة؛ فلا يدركه تعب، ولا مشقة، سبحانه وبحمده.

## إثبات السمع والبصر لله تعالى

**قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:**

(وقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ٥٨]).

(الشرح)

هاتان الآيتان ساقهما المؤلف لإثبات اسمين شريفين، من أسمائه، متضمنين لصفتين، من صفاته، وهما السميع البصير المتضمنان للسمع والبصر.

**قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}:** هذا التعبير أبلغ في امتناع الشبيه والمثيل من أن يقول: ليس مثله شيء؛ قال شارح الطحاوية: (وَفِي إِعْرَابِ كَمِثْلِهِ -وُجُوهٌ، **أَحَدُهَا:** أَنَّ الْكَافَ صِلَةٌ زِيدَتْ لِلتَّأْكِيدِ، قَالَ أَوْسُ بنُ حَجَرٍ:

لَيسَ كَمِثْلِ الْفَتَى زُهَيْرٍ ... خَلْقٌ يُوَازِيهِ فِي الْفَضَائِلِ

وَقَالَ آخَرُ:

مَا إِنْ كَمِثْلِهِمُ فِي النَّاسِ مِنْ بَشَرِ

وَقَالَ آخَرُ:

وَقَتْلَى كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلِ

فَيَكُونُ (مِثْلِه) خَبَرُ لَيس واسْمُها شَيْءٌ. وَهَذَا وَجْهٌ قَوِيٌّ حَسَنٌ، تَعْرِفُ الْعَرَبُ مَعْنَاهُ فِي لُغَتِهَا، وَلَا يَخْفَى عَنْهَا إِذَا خُوطِبَتْ بِهِ ...

**الْوَجْهُ الثَّانِي**: أَنَّ الزَّائِدَ (مِثْلِ) أَيْ: لَيْسَ كَهُوَ شَيْءٌ، وَهَذَا الْقَوْلُ بَعِيدٌ، لِأَنَّ مِثْلَ اسْمٌ وَالْقَوْلُ بِزِيَادَةِ الْحَرْفِ لِلتَّأْكِيدِ أَوْلَى مِنَ الْقَوْلِ بِزِيَادَةِ الِاسْمِ.

**الْوَجْهُ الثَّالِثُ**: أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ زِيَادَةٌ أَصْلًا، بَلْ هَذَا مِنْ بَابِ قَوْلِهِمْ: مِثْلُكَ لَا يَفْعَلُ كَذَا، أَيْ: أَنْتَ لَا تَفْعَلُهُ، وَأَتَى بِمِثْلٍ لِلْمُبَالَغَةِ، وَقَالُوا فِي مَعْنَى الْمُبَالَغَةِ هُنَا: أَيْ: لَيْسَ لِمِثْلِهِ مِثْلٌ لَوْ فُرِضَ الْمِثْلُ، فَكَيْفَ وَلَا مِثْلَ لَهُ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ)[1].

وعندي أن الوجه الثالث أقرب، ولا محوج لافتراض الزيادة، والمعنى: ليس كوصفه شيء، فإن المثل يأتي بمعنى الوصف، كما في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} [النحل: ٦٠]، أي الوصف الأعلى، فيكون المنفي وجود شيء يماثل صفة الرحمن، وهذا معنى سائغ، قريب.

ونفي التمثيل من أصول العقيدة، فإن قال قائل: فما بال بعض أسماء الخالق والمخلوق متماثلة؛ كالحي، والسميع، والبصير، والعليم، والحليم، والرحيم، إلخ؟ فالجواب: إن هذا التماثل إنما هو في اللفظ، وفي أصل المعنى فقط، أما في الحقيقة، والكيفية، فلا تماثل فيها البتة؛ فالرب سميع بصير، والعبد سميع بصير، لكن ليس سمع كسمع، ولا بصر كبصر؛ فالاتفاق في الأسماء، لا في المسميات؛ عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، قالت-: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

[1] شرح الطحاوية، لابن ابي العز: (١/ ١٢١-١٢٤).

وَسِعَ سَمْعُه الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، تَشْكُو زَوْجَهَا، وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١])[١].

كما يقع الاشتراك في أصل المعنى؛ فالسمع هو إدراك الأصوات، والبصر هو إدراك المرئيات، ولا سبيل لنا أن نفهم الخطاب إلا بشيء معهود أصله في الأذهان، ولا يلزم منه المماثلة في الأعيان؛ فالله له المثل الأعلى في السمع، وله المثل الأعلى في البصر، وهكذا في سائر الصفات، وللمخلوق المثل الأدنى فيها؛ فسمعه يليق به، وبصره يليق به؛ فالاشتراك في المعنى الكلي المطلق الجاري في الأذهان، فإذا خرج إلى الأعيان وأضيف، تخصص، وزال الاشتراك بالكلية.

**قوله: {إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ}:** معنى {نِعِمَّا} أي نعم ما، فحصل إدغام متماثلين كبير، فصارت (نعمّا)، ومن أراد أن يعظ نفسه، أو يعظ غيره، فعليه بموعظة القرآ؛ قال الله تعالى: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام: ١٩]، وقد وصفه الله بأنه موعظة؛ قال تعالى: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٨]، وقال: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٥٧]، وقال: {وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود: ١٢٠]،

---

[١] ) أخرجه ابن ماجه: رقم (١٨٨)، والنسائي: رقم (٣٤٦٠)، وأحمد: رقم (٢٤١٩٥)؛ وأورده البخاري: تعليقًا–باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ١٣٤] (٩/١١٧)، وصححه الألباني.

وقال: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} [النور: ٣٤].

والوعظ: هو الكلام الرقيق الذي يحصل به الترغيب، أو الترهيب، ولا أبلغ من موعظة القرآن، فإذا أردت أن تداوي نفسك من آفاتها فعليك بالقرآن العظيم؛ ففيه الدواء الناجع، وفيه الغذاء النافع، ولا شيء يعدله.

وبعض الناس قد يلجأ لشيء من الرقائق، والقصائد، والحكايات؛ يستلين بها قلبه، لكن لن يكون أثرها أبلغ، وأعمق، وأرسخ، من موعظة القرآن؛ فاتخذ القرآن، أيها المؤمن، منهجًا في الموعظة، والتربية.

**قوله: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً}:** تضمنت إثبات هذين الاسمين الشريفين، وما دلا عليه من صفتي السمع والبصر.

والأثر المسلكي للإيمان باسم الله (السميع) أثر عظيم! فمن علم يقينًا أن الله سميع، حمله إيمانه على أن يسمع منه ربه ما يرضيه، وأن لا يسمع منه ما يسخطه، فيلهج لسانه بالكلم الطيب؛ ففي الصحيح: (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ)[١]، ويتحاشى أن يبدر منه شيء يسخطه؛ من الغيبة، والنميمة، والشتيمة، والخوض في الباطل، وقول الزور، وفي الصحيح: (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)[٢]؛ فلو استشعر المرء معنى اسم الله (السميع)، لعقل لسانه عما لا

---

[١] أخرجه البخاري: رقم (٦٤٧٨).

[٢] أخرجه البخاري: رقم (٦٤٧٨)، واللفظ له، ومسلم: رقم (٢٩٨٨).

يرضي الله، وأطلقه بالخير؛ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)[١]، و{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨].

والأثر المسلكي للإيمان باسم الله (البصير) أثر بليغ! فمن امتلأ قلبه بأنّ الله بصير، حرص أنْ يراه ربه على حال يرضى بها عنه؛ كأنْ يراه قانتًا آناء الليل ساجدًا، وقائمًا، يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه، أو يراه الله تعالى على حج، أو عمرة، أو صيام، أو صدقة، أو غير ذلك، وتحاشى أن يراه الله على حال تسخطه؛ كأن يراه على فجور، وظلم، وعدوان؛ ولهذا جاء في المواعظ: لا يكن الله أهون الناظرين إليك؛ فإذا كنت تتحاشى أن يراك أبوك، أو أخوك، أو من تجله على أمر مشين؛ فتذكر أنّ الله يراك.

قال أبو العتاهية:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت. ولكن قل: عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل برهة ... ولا أن ما تخفي عليه يغيب

كما أن علمك بأن الله سميع بصير يورثك الطمأنينة عند الدعاء، واليقين بالإجابة؛ ولهذا قال عمر -رضي الله عنه-: (إني لا أحمل هم الإجابة ولكني أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء ألهمت الإجابة)؛ فإذا تكيف المرء تكيفًا إيمانيًا، واعتقد أن الله يسمع كلامه، ويرى مكانه، ويعلم حاله، اطمأن قلبه، وسكنت نفسه، وعلم أنه وضع مسألته عند سميع، بصير، مجيب.

---

[١] أخرجه البخاري: رقم (٦٤٧٥)، ومسلم: رقم (٤٧).

وحينما يعلم أن الله، سبحانه وتعالى، يراه وهو مقدم على أمر من الأمور، التي يريد بها وجهه، ونصرة دينه فإنه يطمئن ويثبت، كما في قول الله، عز وجل، لموسى وهارون: {لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦]، فهذا سمع خاص، ورؤية خاصة، فاستصحب هذه المعاني، أيها المؤمن، تنتفع بأسماء الله وصفاته.

## إثبات المشيئة والإرادة الكونية لله تعالى

**قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:**

(وقوله: {وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} [الكهف: ٣٩]. وقوله: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: ٢٥٣]. وقوله: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} [المائدة: ١]. وقوله: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: ١٢٥]).

### (الشرح)

**الإرادة الربانية تنقسم إلى قسمين:**

- **إرادة كونية قدرية:** وهي بمعنى المشيئة.
- **وإرادة شرعية دينية:** وهي بمعنى المحبة.

ولا بد من معرفة الفرق بين الإرادتين، لأن من لم يميز بينهما وقع في أحد طرفي الضلالة؛ إما في ضلالة الجبرية، وإما في ضلالة القدرية.

**الفرق الأول:** الإرادة الكونية القدرية لا بد من وقوعها، والإرادة الدينية الشرعية قد تقع، وقد لا تقع.

**الفرق الثاني:** الإرادة الكونية القدرية قد يحبها الله ويرضاها، وقد لا يحبها، ولا يرضاها، والإرادة الدينية الشرعية لا بد أن يحبها ويرضاها.

**الفرق الثالث**: الإرادة الكونية القدرية قد تكون مقصودة لذاتها، وقد تكون مقصودة لمآلاتها، والإرادة الدينية الشرعية دومًا مقصودة لذاتها، فضلًا عن مآلاتها،

**وبيان ذلك بشيء من التفصيل:**

**الفرق الأول**: الإرادة الكونية القدرية لا بد من وقوعها، قال الله عز وجل: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [النحل: ٤٠]، فكل ما أراده الله كونا لا بد من وقوعه؛ أما الإرادة الدينية الشرعية فقد تقع، وقد لا تقع؛ فقد أراد الله منا الإيمان، وقال: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [النساء: ١٣٦]، ومن الناس من يؤمن، ومن الناس من يكفر، وأراد منا الصلاة والزكاة؛ فقال: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: ٤٣]، ومن الناس من يصلي ويزكي، ومنهم من لا يصلي، ولا يزكي، وقال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]، ومن الناس من يتقحم العسر، والله لا يريد بنا العسر.

**الفرق الثاني**: الإرادة الكونية القدرية قد تكون محبوبة لله، وقد تكون غير محبوبة لله؛ فمثلًا: أراد الله كونًا خلق محمد، وهذا محبوب لله، وأراد الله كونًا خلق إبليس، وهذا غير محبوب لله؛ أما الإرادة الشرعية؛ فكل ما أراده الله شرعًا فهو محبوب له؛ كالإيمان، والعمل الصالح.

**الفرق الثالث**: أن ما أراده الله كونًا وقدرًا قد يكون مرادًا لذاته، وقد يكون مرادًا لمآلاته؛ فمثلًا: أراد الله خلق محمد، صلى الله عليه وسلم، لذاته، ولما يترتب عليه من محبوباته؛ كتوحيده، وطاعته، وامتثال أمره، وغير ذلك، وأراد

الله تعالى خلق إبليس، لا لذاته، وإنما لمآلاته؛ فلولا خلق إبليس ما تميز المؤمنون من الكفار، ولا الأبرار من الفجار، ولا قام سوق الجنة والنار، ولما وجدت التوبة والاستغفار، ولا رفع علم الجهاد، ولا جرى الأمر بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بل ولما ظهرت معاني أسماء الله الحسنى؛ من أسماء الجلال، والكمال، والجمال؛ فإن ذلك لا يظهر إلا بتقدير الله تعالى لخلق إبليس، الذي يقع به الابتلاء، ويتمايز الناس فيه إلى مؤمن وكافر، ويترتب عليه الثواب والعقاب، وتتجلى فيه معاني أسمائه الحسنى.

فتبين أن الله تعالى قد يشاء ما لا يحب، وقد يحب ما لا يشاء، لحكم غائية لا يعلمهن كثير من الناس؛ فلابد من التمييز بين هاتين الإرادتين، إذا وردتا في النصوص؛ فإن كانت بمعنى المشيئة فهي إرادة كونية قدرية، وإذا كانت بمعنى المحبة فهي إرادة دينية شرعية.

**وقد ابتدأ المصنف بذكر طائفة من الآيات الدالة على الإرادة الكونية:**

**قوله: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]**: القائل هو الرجل المؤمن، في قصة صاحب الجنتين، فهو يعظ صاحبه قائلًا: ﴿وَلَوْلا﴾ أي هلا، فهي عبارة تحضيض.

**قوله: ﴿جَنَّتَكَ﴾**: أي بستانك، وسمي كذلك لأن الأشجار تُجِنُّه؛ أي تستره.

**قوله: ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾**: أي ما شاء الله كان، فهذه إرادة كونية؛ يذكره بأن كل شيء بإرادة الله، وأن ما أوتي ليس راجعًا إلى كسبه، وحذقه، وذكائه، بل هو فضل من الله، وبتقدير الله، كما أنه ليس دائمًا له؛ كما

زعم بقوله: {مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا} [الكهف: ٣٥]؛ فما شاء الله كان، ولا قوة إلا بالله.

**قوله: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: ٢٥٣]**: هذه إرادة كونية، لأنها بمعنى المشيئة؛ ذلك أن الله تعالى ذكر اختلاف الناس بعد الرسل، واقتتالهم، فقال: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: ٢٥٣]؛ فدل على أن اقتتالهم جرى بإرادة الله الكونية.

**قوله: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} [المائدة: ١]**: بهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم، والمستثنى الأول من الحل هو المذكور في قوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: ٣]، والمستثنى الثاني يتعلق بالحال: {غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ}؛ فلا يحل لمن تلبس بإحرام، أو دخل في الحرم، الصيد؛ ولهذا كان من محظورات الإحرام الصيد؛ قال تعالى: {يَاأَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [المائدة: ٩٥]، والصيد هو كل حيوان بري، متوحش بطبعه، حلال.

والشاهد من الآية قوله: {إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ}، وكأن المصنف -رحمه الله- لحظ الحكم الكوني السابق فذكرها في سياق آيات الإرادة الكونية، لكن لها وجه في إرادة الله الشرعية؛ لأن متعلقها الحلال والحرام.

**قوله: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: ١٢٥]:**

الهداية عند أهل السنة نوعان:

- هداية توفيق وإلهام: وهو مما اختص الله به قدراً، كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦].

- هداية دلالة وبيان: وهذا مما يجريه الله على ألسنة أنبيائه، ورسله، وأتباعهم، من العلم النافع، كما في قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢].

وقد أنكرت القدرية والمعتزلة النوع الأول، وحملت آيات الهداية على النوع الثاني، وفسرت الإضلال: بتسمية الضال ضالًا، وحسب! وسيأتي له مزيد تفصيل في باب القدر.

ومعنى الآية: من أراد الله كونًا أن يجعله من أهل الهداية ييسر له أسباب ذلك، وشرح صدره لقبول الحق؛ فتجده مغتبطًا بنعمة الله، مستبشرًا بموعود الله، ومن أراد الله أن يجعله من أهل الضلالة جعل ضيق العطن، شديد الضيق والتبرم من سماع الحق، وشبهه بمن يصّعد في السماء؛ أي: يرقى في أجواز الفضاء، فيلحقه ضيق واختناق، وهذا أمر معروف بالتجربة، والعلوم الحديثة؛ وذلك أن نسبة الأكسجين تقل كلما ارتفع الإنسان، ولهذا تجد من يعاني من ضيق التنفس ينهى عن سكنى المناطق الجبلية؛ لقلة الهواء.

فدلت هذه الآيات على إثبات إرادة الله الكونية؛ فلا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه.